ظاهرة التكرار في القرآن على ضوء ما ذكره الزركشي[1] في كتابه البرهان في علوم القرآن

The phenomenon of repetition in the Qur'an..... through the book of el bouran by Al-Zarkashi

د. عبد العزيز خويلد جامعة وهران 1 أحمد بن بلة (الجزائر)
Khaziz1988@gmail.com
أ.د محمد لمين خويلد جامعة زيان عاشور الجلفة(الجزائر)
ma.khouiled@univ-djelfa.dz
أ.د اسماعيل سيبوكر جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)
dr.ismailsiboukeur@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/11/ 27	تاريخ القبول: 2022/12/28	تاريخ النشر: 2022/12/30

Abatract:

Knowing the truth about the term repetition and its goals… is necessary that makes the researcher able to distinguish between repetition that leads to length of speech, and purposeful repetition that adds a new meaning, and this is what we notice in what is repeated in the noble Qur'an. Its objectives are: Reminders of what may be forgotten , promises, threats, denials, reprimands, etc., such as affirmation, exhortation, ... etc. This repetition came with the wonderful ability to portray. Which makes the story fall within the Qur'anic miracle that can only be achieved by God Almighty.

Keywords: repetition, stylistic value, Influencer, Influenced.

مُلخّص البحث

إن معرفة حقيقة مصطلح التكرار وضبطه لغة واصطلاحا وإدراك مفهومه؛ شيء ضروري يجعل الباحث قادرا على التمييز بين التكرار الذي يمْقُتُهُ النقاد، والمؤدي إلى طول الكلام أو الاطناب غير المفيد الذي يرفضه العقل ويمُجُّه العقل السليم. وبين التكرار الهادف الذي يضيف معنى جديدا، سواء تعلّق الامر بحرف المعنى أو الكلمة أو الجملة أو القصة؛ وهذا ما نلحظه فيما تكرر من القرآن الكريم الهادف إلى التذكير بما طال عهده وخيف عليه النسيان

أو بالوعد والوعيد أو النفي أو التوبيخ، أو جرس فاصلة إلى غير ذلك كالتوكيد والتأسيس والموعظة والتنبيه، والقمع والقرع والتقرير، وذلك كله في ضرب من القدرة في التلوين والتصوير ما يجعل القصة معه تندرج في سلك الاعجاز القرآني الذي لا يتحقق إلا لله سبحانه وتعالى.

الكلمات المفتاحية: التكرار، -القيمة الأسلوبية، -العامل، -المعمول.

1- مقدمة:

أستهلّ هذا البحث المتواضع بمقولة قديمة لرجلين حاول فيها كلٌّ منهما إظهار فضيلة أحد الإمامين (البخاري ومسلم) عن الآخر فقال الأول: "لمسلم فضل" فأجابه الثاني: "البخاري أعلى"، فقال الأول: "المكرر فيه"، فقال الثاني: "المكرر أحلى". وهما يقصدان الجامعيين الصحيحين للإمامين المذكورين. والمعلوم أن البخاري شيخ مسلم وصحيحه أغزر مادة وأصح دليلا من غيره، والتكرار الذي فيه اقتضته ضرورة التدليل والتقليل من الاحالات. فإذا ذكر مثلا حديث (بُني الإسلام على خمس) في كتاب الايمان أعاده أيضا في كتاب الصلاة وكتاب الزكاة وكتاب الصوم وكتاب الحج لضرورة الاستدلال، فكان هذا التكرار هادفا ومفيدا جدا، من هذا المنطلق فإننا نتساءل عن ماهية التكرار باعتباره نوع من أنواع الاتساق النحوي وماهي صوره التي تمّ طرحها من خلال كتاب البرهان لعلوم القرآن للزركشي؟

كما نشير في هذه المقدمة إلى أن حكم نقاد اللغة والادب على أسلوب التكرار بالرداءة، لا يطال ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، سواء تعلق الأمر بحرف المعنى أو الكلمة أو العبارة أو الجملة أو القصة أو المعنى دون اللفظ أو النزول يتكرر؛ وسنعقد لذلك مدخلا نحاول فيه تحديد مصطلح التكرار ومفهومه وأربعة فصول للاستدلال والتمثيل للأنواع المذكورة آنفا مبينين الأغراض والاهداف والفوائد الناتجة عن التكرار، معتمدين في ذلك أساسا على ما ورد في كتاب البرهان مع الاستعانة بغيره من المصادر والمراجع المتخصصة تكملة للفائدة .

2- تحديد المصطلح (التكرار):

كثيرة هي المصادر والمراجع التي تناولت مصطلح التكرار صيغة وتعريفا وغاية؛ من ذلك ما ذكره العلامة الزركشي حيث يقول: (التكرار مصدر كرر إذا ردد وأعاد، هو "تَفعال" وليس بقياس، بخلاف التفعيل.

وقال الكوفيون: هو مصدر "فعَّل" والألف عوض عن الياء في التفعيل والأول مذهب سيبوي

وقال الامام الرازي: "كرر الشيء تكريرا وتكرارا بفتح التاء وهو مصدر وبكسرها وهو اسم"[2]، ولابن منظور: كَرَّ يكُرُّ كَرًّا وكُرورا وتكرارا: عطف، وكرر الشيء وكركره أعاده مرةً بعد أخرى. ويقال كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرْكَرْتُهُ: إذا ردّدته عليه. والكَرُّ الرجوع على الشيء ومنه التكرار[3].

وخلاصة ذلك ما ذكره الدكتور مصطفى شْرَيْقَن كما يأتي:

تكرار: بالفتح مصدر كرّر وهو شاذ غير مطرد في الباب. وأمّا التكرير: فمصدر كرّر المطرد الذي يقاس عليه الباب، والتِكرار بالكسر هو الاسم باتفاق أهل اللغة...[4].

3- مفهوم التكرار وبعض أهدافه وفوائده:

لعل أبرز ما طلعت عليه في تحديد مفهوم التكرار وتعريفه هو ما ذكره ابن عابدين حيث يقول: "هو ذكر الشيء مرّة بعد أخرى وإذا أردت قلت: التكرار دلالة اللفظ على المعنى مردد كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع، فإن المعنى مردد واللفظ واحد، وكثرته أن يكون فوق الواحد"[5].

كما يذكر الدكتور مصطفى بن حبيب شريقن نقلا عن غيره مايلي: " يعد التكرار ظاهرة لغوية ذات قيمة أسلوبية متنوعة وهو يقوم على العلاقات التركيبية بين الالفاظ والجمل؛ وتقاس معدلات التكرار بنسبة ايراده في النص"[6].

أمّا الزركشي فقد تحدّث عن القيمة الجمالية لظاهرة التكرار وبعض فوائدها وحقيقتها حيث يقول: "وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظنّا أنه لا فائدة له؛ وليس كذلك بل هو من محاسنها، لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض؛ وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه كرّرته توكيدا وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه حيث تقصد الدعاء، وإنما نزل القرآن بلسانهم...وعلى ذلك يُحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد؛ لأن الانسان

مجبول من الطلائع المختلفة، وكلها داعية إلى الشهوات، ولا يقمع ذلك إلا تكرار المواعظ والقوارع...وفائدته العظمى التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر"[7].

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بالسبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والأخبار في القرآن فقال: "وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرّفنا فيه من الوعيد لعلّهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا"[8]، وقال أيضا: " ولقد وصّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون"[9]، وحقيقته "إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنىً، خشية تناسي الأول لطول العهد به..."[10].

والملاحظ على تعريف ابن عابدين لمصطلح التكرار أنه ركّز على نوع واحد من أنواع التكرار البسيط الذي يشمل **الاسم والفعل والحرف**، حيث يطابق فيها اللفظ المكرر معناه وفاتته الإشارة إلى المتكرر بمعناه دون لفظه، كما مثّل لذلك الزركشي بعبارة (لا إله إلا الله وحده لا شريك له)، فأول العبارة (لا إله إلا الله) يؤدي نفس المعنى لما يؤده آخرها (وحده لا شريك له) فهو تكرار للمعنى دون اللفظ؛ فنفي الألوهية عن غير الله هو نفس المعنى المؤدى بثبوت الوحدانية لله ونفي الشريك له.

كما أن ما جاء في كلام الدكتور نور الدين المذكور آنفا في كتابه تحليل الخطاب الشعري، حيث جعل القيمة الأسلوبية للتكرار تقوم على العلاقات التركيبية بين الالفاظ والجمل... كما يشير الزركشي أيضا إلى هذا العامل حيث يقول:"...بل من محاسنها لا سيما إذا تعلق بعضه ببعض..."[11] وكأني بهما يشيران إلى مثل قوله تعالى: "فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا"[12]، حيث يقول النحاة: إن المعرفة إذا أُعيدت بلفظها فالثاني عين الأول والنكرة إذا أعيدت بلفظها فالثاني غير الأول، وعليه فإن تكرار (العسر) يفيد **التوكيد** أمّا تكرار (يسرا) فكلٌّ منهما يفيد **التأسيس**. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لن يغلب عسر واحد يسرين...).

والمعاني المشار إليها آنفا من أعظم الفوائد التي ذكرها الزركشي وأكدها الزمخشري في قوله تعالى: "كلا سوف تعلمون ثمّ كلا سوف تعلمون" أن الثانية تأسيس لا تأكيد لأنه جعل الثانية أبلغ في الإنشاء فقال في الثانية (ثمّ) تنبيه أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول ومن ثمّ فهو أوقع في النفس وأكثر تأثيرا عليها.

وقبل أن أنهي هذا التعليق أُشير إلى أن هناك ما يمكن أن تشمله ظاهرة التكرار في القرآن الكريم ألا وهو ما أنزل أكثر من مرّة كسورة الفاتحة مثلا حيث جاء في حاشية الامام الصاوي على الجلالين: "سورة الفاتحة مكية وهو قول الأكثر وقيل مدنية وجمع بعضهم بين القولين فقال نزلت مرّتين بمكة حين فرضت الصلاة ومرّة بالمدينة حين حوِّلت القبلة... لقوله تعالى: " واقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم" الآية 87 سورة الحجر"[13].

وفي الاتقان "...فإن قيل: فما فائدة نزولها مرّة ثانية (قلت) يجوز أن تكون نزلت أول مرّة على حرف واحد ونزلت في الثانية ببقية وجوهها نحو (**مَلِكِ ومالِكِ، السراط والصراط، ...**) ونسب نفس المصدر للزركشي في البرهان قوله: "قد يُنزل الشيء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا عند حدوث سببه...""[14].

والمتتبع للقرآن الكريم أو ما جاء في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي حول ظاهرة التكرار في القرآن العظيم يدرك أنها ظاهرة تطال حرف المعنى، والكلمة والعبارة أو الجملة أو القصة: وهو ما سنحاول التمثيل له والتدليل عليه بشيء من التحليل والتبيين لفوائده وأغراضه وتأثيره في الأسلوب والشعور، مستمدين ذلك من المصادر والمراجع المعتمدة في البحث –ان شاء الله-.

4- الفصل الأول من كتاب البرهان في علوم القرآن

4-1- تكرار بعض حروف المعاني (أم، لا):

ممّا تكرر في القران الكريم من حروف المعاني: أم ولا. فإذا أخذنا سورة الطور المكية التي نزلت بعد سورة السجدة وذات 49 آية، نجد حرف الاستفهام (أمْ) قد تكرر فيها 15 مرة؛ ولنتصفح نص الآيات من 30-43 من السورة المذكورة: قال الله تعالى: " أم يقولون شاعر نتربّص به ريب المنون قل تربّصوا فإني معكم من المتربّصين. أم تامرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون. أم يقولون تقوّله بل لا يومنون. فالياتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين. أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ....."

والمعلوم أن لـ أم العاطفة عند النحاة حالتين:

4-1-1- متصلة: وفيها يقول ابن مالك[15]:

" وأم بها اعطف إثر همزة التسوية أو همزة عن لفظ أي مغنية "

أي أن أم المتصلة هي التي تقع بعد همزة التسوية نحو (سواء عليّ أقمت أم قعدت) أو تقع بعد همزة مغنية عن (أي) نحو: (أزيد عندك أم عمرو) أيّ أيُّهما عندك؛ وربما أسقطت الهمزة إن خفا المعنى بحذفها أُمِنْ.

أي قد تحذف الهمزة يعني همزة التسوية والهمزة المغنية عن أي عند أمن اللبس، وتكون (أم) متصلة كما كانت والهمزة موجودة، ومنه قول الشاعر:

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا بسبع رمين الجمر أم بثمان

أي أ بسبع.

4-1-2- منقطعة: وبانقطاع وبمعنى "بل" وقت إن تك ممّا قُيِّدت به خلتْ.

أي إذا لم يتقدم على (أم) همزة التسوية، ولا همزة مغنية عن أي: فهي منقطعة وتفيد الإضراب كـ بل كقوله تعالى: "لا ريب فيه من رب العالمين، أم يقولون افتراه" بل يقولون افتراه.

ويقول الامام الصاوي عن (أم) في سورة الطور: (اعلم أنّ (أم) ذكرت في هذه الآيات خمس عشرة مرّة وكلها تقدر ببل، والهمزة فيها للاستفهام الانكاري التوبيخي....) كما يقول في نفس الصفحة (إن الاستفهام انكاري بمعنى النفي)[16].

إذا أدركنا أن حرف أم الـ 15 في السورة كلّها بمعنى "بل" أي الاضراب الانتقالي أي الانتقال من معنى أو معانٍ أو من حالٍ أو أحوالٍ غير مرغوب فيها إلى أخرى مناسبة للمقام... وأن الهمزة للاستفهام أو التوبيخ أو التفريغ أدركنا تناسب تكرار أم مع موضوع السورة وأهدافها وما يحققه هذا التكرار من وقع وتأثير على الشعور.

وننقل ما تناوله الزركشي من تكرار النفي في سورة الكافرون ملخصا لظاهرة التكرار في القرآن الكريم: وبدا لي بعد التأمل في النفي الذي تكرر في السورة أن هناك تغاير بين النفيين: نفي تحوُّله (أي محمد صلى الله عليه وسلم) إلى عبادتهم، ونفي تحولهم إلى عبادته، حيث نفى تحوُّله هو عن عبادته إلى عبادتهم مرّتين: "لا أعبد ما تعبدون"، "ولا أنا عابد ما عبدتم"، كما نفى تحولهم هم عن عبادتهم إلى عبادته مرّتين أيضا: " ولا أنتم عابدون ما أعبد" في الآيتين 2 و5، ولكنه غاير بين صور النفي في العبارة، مما ترتب عليه فروق في اللفظ والمعنى؛ فتأمل نفيه عن نفسه في الآية الثانية والرابعة: "لا أعبد ما تعبدون" و"ولا أنا عابد ما عبدتم" فظاهرهما

أنهما بمعنى واحد مع تقارب في المبنى، لكن بتمعن النظر تجد أن الآية الأولى فيها النفي بالجملة الفعلية، بينما تجده في الجملة الثانية بالجملة الاسمية، وكذلك صلة الموصول في الأولى فعلها مضارع "ما **تعبدون**" بينما الثانية فعلها ماضٍ "ما **عبدتم**"

وعلى هذا يكون المعنى في العبارة الأولى "لا أعبد ما تعبدون" أنه نفى عن نفسه أن يعبد في المستقبل ما يعبدونه الآن.

وفي العبارة الثانية "ولا أنا عابد ما عبدتم" نفى عن نفسه نفيا ثابتا بالجملة الاسمية أن يعبد في المستقبل ما عبدوه في الماضي...[17].

ومن هنا ندرك أن تكرار النفي في السورة ليس توكيدا ولكنه تأسيسا لمعنى جديد.

5- الفصل الثاني من كتاب البرهان في علوم القرآن

5-1- تكرار بعض الكلمات في القرآن الكريم وأسرار ذلك:

إذا كان أبو هلال العسكري يرفض وينكر أن تكرر الكلمة في اللغة الواحدة دون فائدة ومبرر لهذا التكرار[18] فإن الزركشي يؤيّد هذا ويؤكِّده بأمثلة عديدة من القرآن الكريم حيث يقول: "وقد غلط من أنكر كونه (أي التكرار) من أساليب الفصاحة ظنّا أنّه لا فائدة له؛ وليس كذلك بل هو من محاسنها، لا سيما إذا تعلق بعضه ببعض؛ ... وكأنها (أي العرب) تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه[19]... ثم تارةً يكون التكرار مرتين كقوله تعالى:" فقُتِلَ كَيفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيفَ قَدَّرَ"[20] وقوله تعالى: "أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى"[21].

أمّا المثال الأول فيتعلق بالوليد بن مغيرة حين بعثته قريش لمحاورة محمد صلى الله عليه وسلم ومساومته ومحاولة إغرائه بالمال والجاه والمنصب وخير النساء على أن يترك دينه؛ فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني آيات من أول سورة فصّلت فتغير وجه الوليد من وقع ما سمع ورجع إلى قومه مندهشا فظنّوا أنه اتبع محمد صلى الله عليه وسلم لا سيما أنه عبّر عمّا سمع بما يناسبه ولكنه سرعان ما أفصح عن بقائه على وثنيته فاطمأنوا له وطلبوا منه أن يصف محمد صلى الله عليه وسلم "فَفَكَّرَ وقَدَّرَ فَقَتِلَ كَيفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ" قال جلال الدين السيوطي: فَقُتِلَ –لعن وعذب- كيف قدّرَ –على أي حال كان تقديره- ثمَّ قُتِلَ كيف قدّرَ ثُمَّ نظرَ – في وجوه قومه أو فيما يقدح به فيه-[22]. وقال الشيخ الصاوي: قوله: فَقُتِلَ أي في الدنيا، وقوله ثمّ قُتِلَ أي فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة، و "ثمّ" للدلالة على أن الثانية أبلغ

من الأولى فهي في هذه المواضع للتراخي. و "كَيْفَ" منصوبة على الحال من الضمير في "قدّر" وهي للاستفهام والمقصود منه توبيخه والتعجب من تقديره[23]، وعليه فإن ما قصد بـ "قُتِلَ" الثانية غير ما قصد من "قُتِلَ" الأولى؛ وفائدته ما ذكر آنفا.

وممّا تكرر مرّتين فأكثر قوله سبحانه وتعالى: " أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى" تهديد ووعيد فيه التفات عن الغيبة، حيث جاءت بعد قوله تعالى: "ثمَّ ذَهَبَ إلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى"، فكلمة "أولى" اسم فعل ماض مبني على السكون لا محل لها من الاعراب والفاعل ضمير يعود على ما يفهم من السياق. وهي تستعمل في الدعاء بالمكروه. واللام في "لك" زائدة داخلة على المفعول له على حدّ قولهم سُقيا لك؛ والكلمة الأولى بمعنى وَلِيَكَ ما تكره. ومعناها في المرة الثانية: فهو أولى بك من غيرك[24]. وعليه فما تعنيه الكلمة الأولى غير ما تعنيه الكلمة الثانية في المرة الثانية، فالأولى اسم فعل والثانية اسم تفضيل وفي المرتين الثالثة والرابعة تعني التوكيد؛ فالتهدد والوعيد والدعاء بالمكروه والتوكيد كلها أسرار مستفادة من التكرار في الآيتين 34-35 من سورة القيامة.

وقد ذكرت فيما سبق أن الزركشي في معرض حديثه على بعض فوائد وأغراض التكرار حيث يقول: (... أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيدا ... وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد ... الخ)[25]

6- الفصل الثالث من كتاب البرهان في علوم القرآن

6-1- بعض ما تكرر من الآيات أو العبارات أو الجمل في القرآن الكريم:

يبالغ الزركشي في نفي وجود التكرار المنتَقَد في القرآن الكريم؛ فيقول: (... فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق ولم يكن منه) أي أن المكرر إذا دلّ على معنى جديد فلا يعتبر تكرارا ويستدل ويبرهن على ما ذهب إليه من النصوص القرآنية الآتية مع التعليل: كقوله تعالى: "قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين، وأمرت لأن أكون أول المسلمين، أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، قل اللهَ أعبدُ مخلصا له ديني، فاعبدوا ما شئتم من دونه" وبيّن عدم وجود تكرار فيما ذكر بقوله: فأعاد قوله:" قل الله أعبد مخلصا له ديني" بعد قوله: "قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين"، لا لتقرير الأول؛ بل لغرض آخر؛ لأن معنى الأول الامر بالإخبار أنه مأمور بالعبادة لله والإخلاص له فيها؛ ومعنى الثاني: أنّه يخُصُّ الله وحده دون غيره بالعبادة

والإخلاص؛ ولذلك قدم المفعول على فعل العبادة في الثاني، وأخّره في الأول؛ لأن الكلام أولا في الفعل؛ وثانيا في من فُعِلَ من أجله الفعل.

وذهب الامر بالزركشي بأن يقول:" واعلم أنه إنما يحسن سؤال الحكمة عن التكرار إذا خرج عن الأصل، أمّا إذا وافق الأصل فلا، ولهذا لا يتجه سؤالهم لِمَ كرر "إيَّاك" في قوله: " إياك نعبد وإياك نستعين"؛ فقيل إنما كررت للتأكيد كما تقول: بين زيدٍ وبين عمرٍو مالٌ. وقيل إنما كررت لارتفاع أن يُتوهَّمَ – إذا حذفت-أن مفعول " نستعين" ضمير متصل واقع بعد الفعل، فتفوت إذ ذاك الدلالة على المعنى المقصود، بتقديم المعمول على عامله"[26].

والحقيقة "أن السؤال غير متجه؛ لأن هناك عاملين متغايرين، كل منهما يقتضي معمولا، فإذا ذكر معمول كل واحد منهما بعدَه فقد جاء الكلام على أصله، والحذف خلاف الأصل، فلا وجه للسؤال عن سبب ذكر ما الاصل ذكره، ولا حاجة إلى تكلف الجواب عنه، وقس بذلك نظائره"[27].

وقد استشهد الزركشي –رحمه الله-على ما ذكر آنفا بعدد من آيات القرآن الكريم؛ منها[28]:

- قال تعالى: " وإنّ لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون" الآية 78 من سورة آل عمران.
- وقال أيضا: " ... فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا ... " الآية 69 من سورة التوبة.
- وقال أيضا: "كلا سيعلمون ثمّ كلا سيعلمون" الآيتين: 4 و5 من سورة النبإ.
- قال تعالى: "كلا سوف تعلمون ثمّ كلا سوف تعلمون" الآيتين:3 و4 من سورة التكاثر.
- وقال أيضا: "لترونَّ الجَحِيمَ ثمّ لترونَّهَا عين اليقين" الآيتين: 6 و7 من سورة التكاثر.

7- الفصل الرابع من كتاب البرهان في علوم القرآن

7-1- تكرار بعض قصص القرآن الكريم والغاية من ذلك:

أفضل ما نستهلُّ به هذا الفصل قول الله تبارك وتعالى: " لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الْأَلْبَابِ، مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الذي بَينَ يَدَيهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحمَةً لِقَومٍ يُومِنون"[29].

إنّ القرآن الكريم يكرر الحديث عن الشيء الواحد في شتّى أغراضه، وفي مختلف هداياته واكن حديثه في كل مقام عن ذلك الشيء الواحد لا يكون من زاوية واحدة؛ بل تختلف فيه الجهة حين يحدث عن ذلك الشيء في موضع عن الجهة التي يحدّث بها عنه في الموضع الآخر ... فالمتصفح لكتاب الله يرى أنّه تناول الصلاة مثلاً في مكان فأمر بالمحافظة عليها " حَافِظُوا على الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَى"، وفي مكان آخر أمر بالاستعانة بها مع شيء آخر وهو الصبر " واسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلَاة"، وفي مكان ثالث أمر بإقامتها " فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيموا الصلاة"، وفي مواضع أخرى أمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .... وعلى غرار هذا تكرر الامر في سائر العبادات ... وعلى هذا المنوال وهذه الغايات تتكرر في القرآن القصة الواحدة مرّتين[30]أو أكثر وتشتمل كلّ مرّة على معانٍ أو أهداف جديدة بأسلوب وأداء غير الذي تكون فيه في المواضع الأخرى. وهذا ضرب من القدرة في التلوين والتصوير ما يجعل القصة تندرج به في سلك الإعجاز القرآني الذي لا يتحقق إلاّ لله سبحانه وتعالى.

والآن نتناول – مثلا-قصة موسى مع فرعون التي تكررت في القرآن كثيرا ففي سورة الأعراف بعد قصة جماعة من الأنبياء مع قومهم وهم: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، وبعد تعليقات على قصصهم ... ففي هذه السورة لم تتنا ول القصة كيف نشأ موسى، وكيف تطوّر به الامر حتى جاءت به الرسالة إلى فرعون ... ولكنها تناولت بَدْأً رسالته إليه. وقد وردت فيها معان وقعت في الحوار لم ترد في موضع آخر وذلك مثل قوله تعالى: (حقيقٌ عليَّ أن لاَّ أقولَ على اللهِ إلاَّ الحقَّ) وقول المؤمنين من قوم فرعون: (وما تنقمُ منّا إلاّ أن آمنّا بآيات رَبّنا لمّا جاءتْنا، ربّنا أفرغ علينا صبرا وتوفّنا مسلمين). إلى آخر ما اشتملت عليه القصة في سورة الأعراف، الشيء الذي لا يوصف بتكرار ولا يوسم بإعادة[31].

وقد وردت القصة في سورة يونس بصورة من المعاني الجديدة، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: " فما آ من لموسى إلاّ ذُرّيّةٌ من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم".

كما اشير إلى قصة موسى في سورة هود عليهما السلام: "فاتّبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيدٍ" الآية 97.

وجاءت القصة في سورة طه بصفة أوسع وتطرقت إلى أمور أخرى كحوار موسى مع ربّه وما تلك بيمينك يا موسى؟ قال هي عَصَاي ... " ودعاء موسى ربّه (ربِّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري ....) وقد علّم الله موسى في هذه السورة لَيْنُ القول مع فرعون إلى آخر ما ورد فيها من المواضيع والمعاني الجديدة العديدة.

وفي سورة المؤمنون (ثمّ أرسلنا رسلنا تترى ...) إلى آخر ما جاء في سورة القصص من مولد موسى وما حدث له مع فرعون وامرأته حين ألْقَتْهُ أمّه في اليمّ والْتَقَطَهُ آل فرعون، ودور أخته ... وما حدث لأمّه ... الخ.

ولله درُّ الزركشي وهو يلخص بعض فوائد تكرار القصة القرآنية فيقول: "إنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئا، ألا ترى أنّه ذكر الحية في عصا موسى عليه السلام، وذكرها في موضع آخر ثُعباناً، ففائدته أن ليس كلُّ حيّة ثعبانا وأن من فوائدها تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم ممّا اتفق للأنبياء مثله مع أممهم، قال تعالى: (وكلاًّ نقُصُّ عليك من انباء الرُّسُل ما نثبّتُ به فؤادك)[32])[33].

8- خاتمة

إن معرفة حقيقة مصطلح التكرار وضبطه لغة واصطلاحا وإدراك مفهومه؛ شيء ضروري يجعل الباحث قادرا على التمييز بين التكرار الذي يمْقُتُهُ النقاد، والمؤدي إلى طول الكلام أو الاطناب غير المفيد الذي يرفضه العقل ويمُجُّه العقل السليم. وبين التكرار الهادف الذي يضيف معنى جديدا، سواء تعلّق الامر بحرف المعنى أو الكلمة أو الجملة أو القصة؛ وهذا ما نلحظه فيما تكرر من القرآن الكريم الهادف إلى التذكير بما طال عهده وخيف عليه النسيان أو بالوعد والوعيد أو النفي أو التوبيخ، أو جرس فاصلة إلى غير ذلك كالتوكيد والتأسيس والموعظة والتنبيه، والقمع والقرع والتقرير، وذلك كله في ضرب من القدرة في التلوين والتصوير ما يجعل القصة معه تندرج في سلك الاعجاز القرآني الذي لا يتحقق إلا لله سبحانه وتعالى.

9- الهوامش

[1] هو الامام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي أحد العلماء الاثبات الذين نجموا بمصر في القرن الثامن، وجهبذ من جهابذة أهل النظر وأرباب الاجتهاد، وهو أيضا علم من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين.

ولد بالقاهرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة حينما كانت معمورة بالمدارس، غاصة بالفضلاء وحملة العلم، زاخرة بدور الكتب الخاصة والعامة والمساجد الحافلة بطلاب المعرفة، والوافدين من شتّى الجهات، ولم يكد يجاوز سن الحداثة حتى أنظم في حلقات الدروس وتفقه بمذهب الشافعي، وحفظ كتاب المنهاج في الفروع للامام النووي، وصار يعرف بالمنهاجي نسبة إلى هذا الكتاب.

كان الشيخ جمال الدين الإسنوي رئيس الشافعية بالديار المصرية بدر العلماء الزاهر، وكوكبهم المتألق، وامام أهل الحديث بالمدرسة الكاملية غير مدافع، فلزمه وتلمذ له ونهل من علمه ما شاء الله أن ينهل فكان من أعجب تلامذته وأوعاهم، وأفضلهم وأذكاهم، كما تخرج على الشيخ سراج الدين البلقيني، والحافظ مَغْلَطي، وغيرهم من شيوخ مصر وعلمائها ثم ترامت إليه شهرة الشيخ شهاب الدين الاذرعي بحلب، والحافظ ابن كثير بدمشق فشد الهما الرحال؛ قصد إلى حلب أولا حيث أخذ من الاذرعي الفقه والأصول، ثم عمد إلى دمشق

[2] محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي: **مختار الصحاح**، دار الكتب العربية، بيروت، دط، ص567.

[3] ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بم المكرم): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص135.

[4] مصطفى بن حبيب شريقن: **ظاهرة التكرار في القرآن الكريم أغراض وأسرار**، ص26.

[5] مصطفى بن حبيب شريقن: **ظاهرة التكرار في القرآن الكريم أغراض وأسرار**، ص 27.

[6] المرجع نفسه الصفحة نفسها.

[7] ينظر: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، دار إحياء الكتب العربية، ط1، ج 3، 1957، ص08 وما بعدها.

[8] الآية 113 سورة طه.

[9] الآية 51 سورة القصص.

[10] الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، ج 3، ص 09.

[11] المرجع نفسه، ص08.

[12] الآية 5 و6 سورة الشرح.

[13] جلال الدين السيوطي: **تفسير الجلالين**، دار الحديث، القاهرة، دط، ج4، ص273.

[14] جلال الدين السيوطي: **الاتقان في علوم القرآن**، مؤسسة الرسالة ناشرون، دط، دت، ص36 و37.

[15] شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، المجلد 2، ص229 وما بعدها.

[16] حاشية الامام الصاوي: **على تفسير الجلالين للسيوطي**، ج 2، ص133.

[17] د مصطفى بن حبيب شريقن: **ظاهرة التكرار في القرآن الكريم أغراض وأسرار**، ص28.

[18] أبو هلال العسكري: **الفروق في اللغة**، ص12.

[19] الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، ج 3، ص08.

[20] الآية 19-20 من سورة المدثّر.

[21] الآية 34-35 من سورة القيامة.

[22] جلال الدين السيوطي: **تفسير الجلالين**، ص266.

[23] الصاوي: **حاشية الصاوي على الجلالين**، 266.

[24] ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن**، ص549 نقله عن **لسان العرب**، ج2، ص293-294.

[25] الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، ج 3، ص08.

[26] الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، ص09.

[27] ينظر: المرجع نفسه الصفحة نفسها.

[28] المرجع نفسه الصفحة نفسها.

[29] الآية 111 سورة يوسف.

[30] هناك قصص غير متكررة في القرآن كقصة البقرة التي أُمر بنو إسرائيل بذبحها، وقصة أصحاب الكهف وقصة نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب في سورة ص، وقصة موسى والخضر وقصة يوسف، وصاحب الجنتين ....

[31] دوّنت هذه السطور بعد الاطلاع على ما ورد في كتاب البرهان في علوم القرآن كما استعنت بكتاب السيد عبد الحافظ عبد ربه **بحوث في قصص القرآن**، ص180 وما بعدها.

[32] الآية 12 سورة هود.

[33] الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، ج 3، ص25.